mroftalp htehaB ni knil muideM

رحلة اليقين ٦٣: خنفشار داروين - الإحالة على المجهول

إياد قنيبي

السّلامُ عليكُم - 00:00:00
يُحكَى أنّ رَجُلاً لبِسَ لِباس العُلماء - 00:00:01
ثُمّ جاء إلى قَريةٍ وقال للنّاس: اسألوني فيما شِئتم وأنا أُجيبُكم - 00:00:03
وبالفِعل، ما سُئِل سُؤالًا إلاّ أجاب، وبشيءٍ من التفصيل - 00:00:08
حتّى شكّ الناس أنّه يُؤلّف أيّ جَوابٍ من عندِه - 00:00:12
فقالوا: تعالَوا نسأله عن شيءٍ افتراضيّ نَخترعُه ، وَلْنُسمّه)الخُنْفُشَار(- 00:00:15
فَجاؤوهُ، وقالوا: عالِمَنا الجَليل، ما قولك في الخُنْفُشار؟ - 00:00:21
فقال: نَعَم، الخُنْفُشَار نباتٌ يَطلُع في أطراف جِبالِ اليمن، - 00:00:25
إذا أكلَته الإبلُ انعقدَ لَبَنُها، - 00:00:31
حتّى قال الشاعر اليمنيُ الكبيرُ: - 00:00:33
لقد عقَدَتْ محبّتُكم فُؤادي كما عَقدَ الحليبَ الخُنْفُشَارُ - 00:00:36
من سيستطيع أن يُثبِت خَطأ نَظَريّة هذا الشّيخ)الخُنْفُشاريّ(؟ - 00:00:42
من سيستطيع أن يَذهَب إلى أطرافِ جِبال اليمن كلّها - 00:00:46
ويُثْبِتَ أنّ الخُنْفُشَار غَيْر موجود؟ - 00:00:49
من سيستطيع أن يَنفِي أن يكون هذا الاسم الذي ألّفَه أهلُ القرية - 00:00:52
موجوداً بالفعل بالصُدفة؟ - 00:00:56
أنا ما أخبرتُ أحدًا بهذه القِصّة إلاّ ضَحِك - 00:00:59
ولكن الغريب أنّ كثيرين يقرأون قِصّةً مشابهةً تمامًا ولا يضحكون - 00:01:01
إنّها قصّةُ داروين في كتابه)أصْلُ الأنواع(- 00:01:07
تَحْت عِنوان: "حوْل عَدَم اكتمال السِجلّ الأحْفوري" - 00:01:09
فتابِعوا مَعَنا - 00:01:13
)مؤثرات صوتية(- 00:01:14
ادّعى داروين أنّ نَظَريّته تَتطلّب ظُهورَأنواع الكائنات - 00:01:21
بِشكلٍ تدريجيّ بطيءٍ جدًا - 00:01:24
وأنْ تَكُون طبقاتُ الأرض مليئةً بعددٍ لا حَصْرَ له من الكائنات الانتقالية - 00:01:27
وأنا أقولُ:)ادّعى(لأنّنا بيّنّا بالتّفصيل في حَلَقة)من سَرَق المَليُون(- 00:01:33
أنّ عِبَارة)لا حَصْر لها(قاصرةٌ عن وصْف العَدَد الخَيَاليّ الفَلَكيّ - 00:01:38
الّذي سيَنتُجُ دُوْن أن يَتَحوّل كائنٌ إلى كائنٍ آخر. - 00:01:42
على كلٍّ فَلْنَفترض أنّه يُمْكن -بعددٍ لا حَصْر له من الكائناتِ الانتقاليّة- - 00:01:46

أنْ تَتَحقّقَ خيالاتُ داروين. - 00:01:51
هذا يعني أنّ الكائنات سَتَظهر في طبقات الأرض بتدرّج - 00:01:53
وليس بشكلٍ فُجائيّ - 00:01:59
لأنّ ظُهورها بشكل فُجائيّ يعني أنّها لَمْ تَتَطوّر عن شيءٍ قَبْلها، - 00:02:01
لذلك قال داروين في الفَصْل العاشر مِنْ كتابه)أصلُ الأنواع(: - 00:02:06
"إذا ظَهرَت بالفعل أنواعٌ كثيرةٌ من الكائنات للحياة في وقْت واحد - 00:02:09
فإنّ هذا سيكون قاتلاً لنَظَريّة التطوّر بالانتقاء الطبيعيّ". - 00:02:15
بتَعبِيره: - 00:02:19
"noitceles larutan hguorht noitulove "fo yroeht eht ot latef eb dluoW - 00:02:20
حسنا يا داروين، أنت تَعْلم مِن أيّامِك أنّ أنواعاً كثيرةً ظهرت فجأةً - 00:02:24
بَدءًا مِن طَبَقات العَهْد الكَامْبِري - 00:02:28
وتَعْلمُ أنّ هذه الظّاهرة تَكرّرت في طَبَقات أخرى - 00:02:30
حيثُ نرى أنواعًا عديدة تَظْهرُ فجأةً في نفسِ الطّبقة - 00:02:34
غيْرَ مسبوقةٍ بكائناتٍ وسيطة -على حدِّ تعبيرك - 00:02:38
أقرّ داروين أنّ هذه الصُّعوبة تُواجهُ نَظَريّته - 00:02:43
بَدَل أن يُقِرّ بأنّها حقيقةٌ تَهدِم خُرافَته - 00:02:47
وذَكَر أنّ بَعْض أقْرانه اعتَرَض عليه بهذه الحقيقة - 00:02:50
تُرى هل أقَرّ داروين من قَبِيل الموضوعيّة والنّزاهة كما يَظُنّ البعض؟ - 00:02:54
أم ليُمارس بعدها)خُنْفُشاريّته(المعتادة؟ - 00:02:59
تعالوا نرى - 00:03:02
حَضْرةَ العالِمِ الكبير داروين، أين الخُنْفُشار؟ - 00:03:04
أين الكائنات الانتقاليّة التي لا حَصْر لها - 00:03:07
والتي تَسبِق ظهورَ أنواعٍ كثيرة من الكائنات دَفعةً واحدة في طبقةٍ من الطبقات؟ - 00:03:09
يُجيبك داروين: - 00:03:16
"نحن نَجْهل طبقات الأرض فيما وراء حدود أمريكا وأوروبا" - 00:03:17
يعني، رُبّما توجد الكائنات الانتقاليّة التي لا حصْر لها -حسْب داروين - 00:03:22
والتي تعجُّ بها طبقات الأرض- هناك - 00:03:25
في أطراف جبال اليمن، والصين وموزمبيق، وهونولولو، والواقواق - 00:03:28
يقول لك داروين: "نَحْن ننسى كم العالم فسيح، - 00:03:32
فقد يكون الذي حصل تاريخيًا هو أن الكائنات تطوّرت تدريجيًا - 00:03:36
"erehw esle" في مكان ما - 00:03:40
في مكان ما، وبالصُّدْفة -بطريقةٍ ما- - 00:03:41
انتقلت نُسَخٌ من بعض الكائنات إلى أرض أمريكا وأوروبا - 00:03:45
ومؤكدٌ -إخواني- حتّى يُضبَط هذا التصوُّر)السيناريو(- - 00:03:49
علينا أن نفترض أنّ هذه الكائنات - 00:03:52

-لسببٍ ما- لَمْ تُتَابع عمليّة التطوّر - 00:03:54
في أرض أمريكا وأوروبا، بل استمر التطوّر خارج أمريكا وأوروبا - 00:03:57
وكُلّ فترةٍ تنتقل نُسَخٌ من كائناتٍ أخرى -بطريقة ما- إلى أمريكا وأوروبا ولا تَتَطوّر - 00:04:01
وبالتالي فطبقات الأرض في مكان ما خارج أمريكا وأوروبا - 00:04:08
يجب أن تَعُجّ بالكائنات الانتقاليّة - 00:04:12
بِمِثل هذا التصوّر)السيناريو(الواهي جدا تَفْهم قول داروين في خِتام مُنَاقشته - 00:04:15
"أنّنا لا نمتلك إلاّ ما يُشبه المجلّد الأخير لتاريخ السِجلّ الأُحْفوريّ - 00:04:20
محدوداً بِبِلدين أو ثلاثة - 00:04:25
ومن هذا المجلّد لم يُحفظ إلاّ فصلٌ واحد - 00:04:27
ومن هذا الفصل لم تُحفَظ إلاّ سطورٌ قليلة من بعض صفحاته" - 00:04:30
حسنا يا داروين، إذا قبِلنا تفسيرك هذا للطبقات العليا - 00:04:35
فما ردُّك على طبقاتِ العهْد الكامبري السَحيقة العَمِيقةِ في الأرض، - 00:04:38
هذه الطبقات ظهرت فيها أنواعٌ من الكائنات فجأةً أيضا، فيما يُعرف بـ)الانفجار الكامبري(- 00:04:42
دون وجود)كائناتٍ انتقاليّة لا حصْر لها(تحْتها - 00:04:48
فلا يُتصوّر أن تُوجَد لهذه الكائناتِ كائناتٌ انتقاليّة سبقتها في مكان ما؛ - 00:04:53
لأنّها أعمقُ الطّبقات عمليًا وليس تحتها طبقاتٌ ذات شأن. - 00:04:59
يقول لك داروين: - 00:05:04
"رُبّما قبل أن تترسّبَ طبقاتُ العهد الكامبري السحيقة العميقة في الأرض، - 00:05:06
رُبّما كانت هناك فتراتٌ من الزمن طويلةٌ جداً بطول الزمن - 00:05:11
من العهد الكامبري حَتّى الآن أو أطْول، وهذه الفترات كانت تعُجُّ بالكائنات الحيّة" - 00:05:15
- لكن يا داروين هل يُعقَل أنّ هذه الفتراتِ الزمنية الطويلة - 00:05:21
كانت تَعُجُّ بالكائنات الحيّة المتنوّعة ولم نجد من هذه الكائنات شيئًا يُذكَر؟ - 00:05:26
- هل تستطيع أن تُثبِت خطئي؟ - 00:05:32
هل نَزَلْتَ عميقاً، وثَقَبتَ الأرض - 00:05:33
إلى أن وَصَلتَ إلى النّاحية الثانية من الكرة الأرضية، - 00:05:36
لتُثبتَ أنّه ليس هناك طبقاتٌ كهذه؟ - 00:05:39
- بصراحة، لا - 00:05:42
- إذًا، اسْكت - 00:05:44
بل ولَدَى داروين رَدٌ ثالثٌ، يقول لك فيه: - 00:05:45
- "رُبّما في الزّمان السَحيق كانت الظُروف البيئيّةُ عنيفةً - 00:05:49
بحيث أنتجت تَغيّراتٍ سريعة في الكائنات الحيّة؛ - 00:05:53
فلم يَلحَق السّجلّ الأحفوريّ أن يحتفِظ بالكائنات الوسيطة". - 00:05:56
إذًا، أحالَك داروين على المجهول جغرافيًا خارج حدود أمريكا وأوروبا في مكانٍ ما، - 00:06:02
وعلى المجهول في أعماق الأرض وعلى المجهول في عُمْق التّاريخ، - 00:06:09
ولسان حاله: - 00:06:14

)أتحدّاك أن تُثبت خطأ نظريّتي(- 00:06:15
إذًا، أحالك داروين على المجهول جغرافيًا - 00:06:17
خارج حدود أمريكا وأوروبا في مكان ما - 00:06:21
وإلى المجهول في أعماق الأرض وإلى المجهول في عُمْق التّاريخ - 00:06:24
ولسان حاله: - 00:06:29
"أتحدّاك أن تُثبت خطأ نظريّتي". - 00:06:31
النّاسُ يضحكون من العالِم)الخُنْفُشاري(الذي أحالَ على أطراف جبال اليمن، - 00:06:34
في نبتة غير موجودة، - 00:06:38
ولا يَضحكون من داروين الذي يُحيل على مَجاهيل الزّمان والمكان، - 00:06:40
في كائنات يقولُ هو أنّه يجب أن تكون لا حصر لها، - 00:06:44
وأن تَعُجّ بها طبقات الأرض كلّها، - 00:06:48
بل وأن تمتلئَ بها الحياة على سطح الأرض. - 00:06:51
لا عَجَب، فنُكتة داروين قد وُضع قبلها - 00:06:55
كلمة)بالإنجليزية(نظرية - 00:06:58
إذًا، فبمثل هذا اللّفّ والدوران عالَج داروين قضيةَ السّجلّ الأحفوري - 00:07:00
في 11 ألف و 066 كلمةً من كتابه)أصل الأنواع(، - 00:07:05
ليخلُص في آخر هذا الفصل إلى عبارته: "بهذا المنطق، فإنّ الصّعوبات - 00:07:09
التي تمّ نِقاشها أعلاه، تَتَضاءل بشكل كبير أو أنّها تختفي تمامًا". - 00:07:15
تختفي. - 00:07:21
تختفي كما يُخفِي الساحر الأشياء بعصاه السحريّة. - 00:07:22
هذا درسٌ جيّدٌ جدًا -إخواني- لمن يظنُّ أنّ داروين كان عالمًا موضوعيًا يَعترف - 00:07:27
في كتابه بالصّعوبات التي تواجه نظريّته. - 00:07:32
فرقٌ بين عالمٍ يطرح نظريّةً مُتماسكة، لها أساسٌ تقومُ عليه، - 00:07:35
ثمّ يَعترفُ بنقاط الضّعف، ويناقشُها بموضوعيّة، - 00:07:40
وفي المقابل من يطرح خُرَافات، - 00:07:43
ثمّ يَنزِع فتيل الاعتراض بتهزيل الحقائق المُصَادمةِ لخُرَافاته - 00:07:46
والالتفافِ عليها. - 00:07:51
فقد تعامل داروين أوّلاً مع الكائنات كلُعبةٍ مَعجُونيّة، - 00:07:53
ثمّ أحال على مجاهيل الزّمان والمكان تصوُّرات)سيناريوهات(مُضحكة عند التحقيق، - 00:07:57
ثم خَلُصَ إلى أنّ مناقشته هذه حَلّت الإشكال بشكلٍ كامل، أو شبه كامل. - 00:08:02
لكن لاحظوا إخواني أنّه كان في خنفشاريّة داروين ثَغرة. - 00:08:08
من المستحيل الوصول إلى أعماقِ أعماقِ الأرض ومن المستحيل العودة إلى الزّمان السّحيق، - 00:08:13
لكن ليس مستحيلًا أن نبحثَ عن الكائنات الانتقاليّة خارج أمريكا وأوروبا. - 00:08:21
وبالفعل، انطلق أتباع داروين بحثًا عن هذه الكائنات التي تَكلّم عنها أستاذهم، - 00:08:27
عن)الخُنْفُشار(، - 00:08:34

لِيُثبتوا صِحّةَ تنبّؤات عالِمِهم الكبير. - 00:08:35
مَهمّةٌ لا بُدّ وأن تكون ليست بالصّعبة جداً؛ لأنّ طبقاتٍ من الأرض في مكان ما - 00:08:38
يجب أن تعُجّ بخُنْفُشار داروين، وإنْ خَلَت منه أميركا وأوروبا لأسبابٍ مجهولة. - 00:08:44
في الوقت الذي كان أبطالُ الأفلام، ورسوم الكرتون - 00:08:49
يبحثُ أحدُهم عن أمِّه في كلّ مكان، أو عن الكنز المفقود، أو عن بطلةِ الفيلم - 00:08:52
أنفق أتباع داروين 071 عامًا في البحث عن الخُنْفُشار في كلّ مكان. - 00:08:58
وصلوا في رِحلتهم هذه إلى الصّين فما وجدوا غيرَ عِظامٍ مُلَفّقةٍ مُلَزّقةٍ - 00:09:03
سَمّوها حَفريّة الأركيورابتور)rotparoeahcrA(، - 00:09:08
والتي ما لبِثت أنْ تَبيّن أنّها مُزَيّفة، كما شرحنا في حلقة)نظريّة البانكيك(- 00:09:11
وصلوا فيها أثيوبيا في عُمق إفريقيا فوجدوا فيها بقايا عظامٍ تَهَشّمتْ أجزاءٌ - 00:09:16
منها تحت أيديهم، فكادت قلوبهم تَتَهشّم معها وسارعوا إلى لَمْلَمَتها، وسَمُّوها - 00:09:22
حفريّة آردي)idrA(- 00:09:28
و اعتبروها أهمّ اكتشافاتِ القرن في عالم تطوُّر الإنسان، - 00:09:29
وأيقونةً من أيقونات تطوّر الإنسان الكبرى. - 00:09:33
ثمّ عادت كُبْريات مجلاّتهم مثل نيتشر "erutaN"، وسَيَنْس "ecneicS" - 00:09:37
وكِبار مواقعهم مثْل سَيَنتيفك أميركان "naciremA cifitneicS" - 00:09:41
فشكّكَت في أن يكون لـ)آردي(أيّة علاقة بالإنسان أصلاً، - 00:09:43
وهم الآن مختلفون في تفسيرها. - 00:09:48
ولك أخي أن تَتَصوّر حَجْم المأساة والوَضع المُزري لأتباع الخُرافة - 00:09:51
عندما يحتفلون ببقايا حفريّةٍ مُهترِئة، وينشرون أبحاثًا كثيرةً عنها - 00:09:56
ثُمّ يختلفون حَوْلها، مع أنّ خُرافَتهم تَتَطلّبُ أعدادًا - 00:10:03
لا حَصْر لها من المراحل الانتقاليّة، حتّى لو تنازلنا لهم كثيرًا - 00:10:07
وغيرُها من القِصَص البائسة التي ذَكَرنا عدداً منها في حلقة - 00:10:14
)في سبيل الخُرافة(- 00:10:18
ومع ذلك كلّه لا زال ريتشارد دوكينز يقول "بأنّ التّطوّر لا بدّ وأن يكون قد حصل - 00:10:20
وأنّ علينا أن نحفرَ بحثًا عن الكائنات الانتقاليّة في مكان ما آخر" - 00:10:25
"niatnuom eht fo edis rehto eht no" على النّاحية الأخرى من الجبل - 00:10:31
تذكّروا الخنفشار الذي في أطراف جبال اليمن - 00:10:36
إذًا، أين خنفشارك يا داروين؟ - 00:10:41
لَمْ نجده خارج أوروبا وأمريكا بأعدادٍ لا حَصْر لها كما عشّمتنا - 00:10:44
كانت هذه ثغرةً لا أقول في نظريّة دارون، بل في خنفشاريّة نظريّته، - 00:10:49
ثغرةٌ تَعلّم منها أتباعُه، فسَعوا إلى سدّ الثّغرات من بعده. - 00:10:54
لذلك عندما تسمع أنّ العلماء من بَعْد داروين يسدُّون الثّغرات، - 00:10:58
فهذا صحيح، - 00:11:02
لكنّهم لا يسدُّون ثغرات النّظريّةِ بل يسدّون ثغرات خُنفشاريّة النّظريّة، - 00:11:04

يعني يحاولون)خَنْفشة(التّنبّؤات بحيث لا يتكرّرالإحراج الذي أوقعهم فيه داروين - 00:11:09
فيما يتعلّق بالحفريات خارج أمريكا وأوروبا. - 00:11:15
فعندما ترى فرانسيس كريك ثُمّ ريتشارد دوكينز - 00:11:18
يقولان لك: - 00:11:20
"ربّما كائناتٌ فضائيّة، هي التي بَذَرت بذْرة الحياة على الأرض" - 00:11:41
فهُم، لم يحيلوك على أطراف جبال اليمن، ولا على خارج أمريكا وأوروبا في مكان ما، - 00:11:45
بل على أطراف الكون، - 00:11:50
وما أدراك؟ - 00:11:52
ألا يمكن أن تكون الكائنات الفضائيّة التي بَذَرَت الحياة، - 00:11:53
تبعد عنّا)تريليونات(السّنوات الضوئيّة في زاوية ما من زوايا الكون؟ - 00:11:56
هل تستطيع أن تُثبت خلاف ذلك؟ - 00:12:02
فلا تستغربوا إن قال أتباع داروين في المستقبل أنّ التّطوّر حصل في كوكبٍ آخر، - 00:12:05
ثمّ جاءتنا الكائنات -التي نعرف- بالأطباق الفضائيّة، - 00:12:10
وبَقِيَت الكائنات في الكوكب X، يعُجّ بأعدادٍ -لا حصر لها- منها - 00:12:14
ثمّ تتطوّر الخنفشاريّة وتدخل عالم الفيزياء والفلك، لتنقل الخنفشار - 00:12:20
لا إلى أطراف جبال اليمن، ولا إلى أطراف الكون، - 00:12:26
بل إلى خارج الكون كله. - 00:12:29
حتّى يقول لك هوكينغ: - 00:12:31
- هناك أكوانٌ لا حصر لها، ممّا يُفسّر - 00:12:32
الضّبط الدّقيق في معايير كَوْننا الفيزيائية - 00:12:35
- لكن أين هذه الأكوان يا هوكينغ؟ - 00:12:38
- هل خَرَجْتَ من كوننا لتثبت أنّ نظريّتي خطأ؟ وأنّه ليست هُناك أكوانٌ متعددة؟ - 00:12:41
- حسنًا، كيف نراها بالعلم التجريبيّ؟ - 00:12:47
- في المستقبل، ربّما الثّقب الأسود سينقلنا إلى هذه الأكوان الأخرى. - 00:12:50
إحالةٌ على مجهول المستقبل، كما أحالوا على مجهول الماضي. - 00:12:55
بل وهذه المرّة خارج حدود الكون كلّه. - 00:12:58
إذًا إخواني، هذا هو أسلوب الخَنْفَشة، - 00:13:01
الإحالة على المجهول الذي لا يمكن التحقق منه، - 00:13:04
أسلوبٌ يستخدمه أتباع الخُرَافات كثيرًا وفي مجالاتٍ كثيرةٍ، - 00:13:08
فانتبهوا له في مناقشاتكم. - 00:13:12
والسلامُ عليكُم. - 00:13:15